## المقدّمة

تمارس الولايات المتحدة الأمريكية نفوذا متعدّد الأوجه يستند إلى قوّتها الإنتاجية الضخمة ويتجلّى من خلال مكانتها التجارية والمالية وإشعاعها الثقافي وتأثيرها الكبير في العلاقات الدولية وانتشارها العسكري الواسع عبر العالم.

## I - قوة تجارية ومالية عظمى

تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بنفوذ اقتصادي متنوّع يبرز خاصّة من خلال مكانتها في التجارة العالمية كما يبرز من خلال نفوذها المالي والنقدي الكبير.

### 1 – قوة تجارية كبرى

تتجلّى القوة التجارية الأمريكية في حصّتها العالية من المبادلات العالمية للسلع والخدمات وفي تركيبة هذه المبادلات وفي توزعها الجغرافي.

#### أ- مكانة بارزة في التجارة العالمية

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية من أكبر القوى التجارية في العالم إذ تعدّ ثالث مصدّر في العالم بأكثر من 10 % من قيمة الصادرات العالمية للسّلع والحريف الثّاني في العالم بقرابة 13 % من الواردات العالمية في سنة 2008 [1] وقد تمكّنت رغم التراجع الملحوظ في حصّتها من المبادلات العالمية في السنوات الأخيرة من الاحتفاظ بهذه المكانة البارزة في ظلّ المنافسة الحادة من قبل منافسيها المباشرين الاتحاد الأوروبي واليابان وبعض الأقطار الصناعية الجديدة.

#### ب- مبادلات اقتصاد قوي ومهيمن

تعدُّ الولايات المتحدة الأمريكية ثالث قطب تصديري في العالم مستندة في ذلك إلى ضخامة إنتاجها الصناعي والفلاحي وتنوّعهما فضلا عن صادرات الخدمات التي تبرز ضمنها صادرات الخدمات المسداة إلى المؤسسات والخدمات المالية وصادرات براءات الاختراع التي تقارب قيمتها ثلثي قيمة صادرات السلع. وتمثل المنتجات الصناعية 75 % من إجمالي الصادرات رغم استيعاب السوق الداخلية لقسم كبير منها [2]. وتتركب الصادرات من منتجات التكنولوجيا العالية مثل الطائرات وأجهزة المعلوماتية والأدوية والأسلحة ومن معدّات النقل مثل السيارات ومن المنتجات الفلاحية مثل القمح والذرة والصوجا. ولئن نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في المحافظة على مكانتها كقطب تصديري بارز فإنها فقدت سيطرتها على السوق العالمية في بعض المنتجات الصناعية والفلاحية بسبب المنافسة الحادّة من قبل اليابان والاتحاد الأوروبي وبعض القوى الاقتصادية الصاعدة مثل كوريا الجنوبية والبرازيل والأرجنتين .

ومقابل التراجع النسبي لحصّتها من الصادرات العالمية، تشهد طاقة التوريد تناميا مستمرّا وهو ما يمنح الولايات المتحدة قدرة جلية على التأثير في الاقتصاد العالمي لا فقط بسبب ضخامة هذه الواردات، بل وكذلك بسبب أهميتها في اقتصاديات عدة بلدان مصدرة من بلدان الشمال ومن بلدان الجنوب على حدّ السّواء. وتتميز واردات الولايات المتّحدة الأمريكية بضخامتها وتتصدّرها المنتجات الصناعية تليهما مصادر الطاقة والمنتجات الفلاحية والغذائية. وترتبط ضخامة الواردات الأمريكية بالقدرة الاستهلاكية العالية للسوق الداخلية من جهة وبعجز الإنتاج الوطني رغم ضخامته عن تغطية الحاجيات الداخلية من المواد الأوّلية ومصادر الطاقة وبعض المنتجات الصناعية. وهو عجز ناجم عن تنامي التصدير المرتبط بتحرير التجارة العالمية من جهة وبتدويل الإنتاج الصناعي من قبل الشركات عبر القطرية الأمريكية من جهة ثانية [1 و2].

#### ج – مبادلات تتمّ مع البلدان المتقدّمة والقوى الصّاعدة

تتمّ مبادلات الولايات المتحدة الأمريكية مع أغلب بلدان العالم لكن أكثر من ثلاثة أرباع قيمة هذه المبادلات تتم مع البلدان المتقدّمة والقوى الصاعدة. ويبرز البلدان العضوان في منظمة التبادل الحر لأمريكا الشمالية وهما كندا والمكسيك بحصّة عالية في المبادلات تناهز الثلث، تليهما الأقطار الصناعية الجديدة

(النمور والتنينات) والصين الشعبية في آسيا بحصة مرتفعة ضمن المبادلات الأمريكية، ويأتي الاتحاد الأوروبي في المرتبة الثالثة. أما بلدان الجنوب فإنها تأتي في المرتبة الأخيرة وتعدّ حصتها ضعيفة في المبادلات الأمريكية. وإذا كانت الواردات الأمريكية من الأقطار الصناعية الجديدة والبلدان المتقدّمة تتكوّن أساسا من المنتجات المصنعة، فإن وارداتها من بلدان الجنوب تتكوّن من مصادر الطاقة وبعض المنتجات الفلاحية [3].

### 2 – قطب مالي ونقدي قوي ومؤثر

يتجلى النفوذ المالي والنقدي للولايات المتحدة الأمريكية في حصتها الهامة في الاستثمار الأجنبي المباشر وفي أرصدته وفي أوّلية عملتها الدولار في المعاملات المالية والنقدية العالمية وفي قوة بورصاتها.

#### أ– طرف رئيسي في الاستثمار الأجنبي المباشر في العالم

تعدّ الولايات المتحدة الأمريكيّة قطبا ماليا قويا. فهي توفّر 17% من قيمة الاستثمارات الأجنبية المباشرة الصادرة وتستأثر بقرابة 18% من قيمة الاستثمارات الأجنبية المباشرة الواردة في العالم سنة 2008 [4] وتضطلع شركاتها عبر القطرية [5] بدور رئيسي في تأكيد نفوذها المالي عبر العالم وذلك نتيجة لتدويل الإنتاج الذي تسارعت وتيرته خلال الربع الأخير من القرن الماضي في ظلّ تنامي عولمة الاقتصاد. وتتركز الاستثمارات الأمريكية مجاليا في البلدان المتقدمة وخاصّة الاتحاد الأوروبي الذي يستقطب أكثر من نصف قيمة هذه الاستثمارات. أما قطاعيًا فإنها تتركز في الصناعات مثل صناعة السيارات وبصفة متزايدة في القطاع الخدمي. كما تمتلك أرصدة ضخمة من الاستثمارات الأجنبية المباشرة الصادرة والواردة تؤكد نفوذ الشركات عبرالقطرية الأمريكية في العالم وتمنح الولايات المتحدة قدرة عالية على التّحكم في الاقتصاد العالمي من جهة كما تؤكد قوّة جاذبية الاقتصاد الأمريكي من جهة ثانية. وتتعزّز هذه القوة المالية بقوة نقدية تمثلها عملة واسعة الانتشار والتداول هي الدولار.

#### ب – الدولار عملة عالمية مهيمنة

يعتبر الدولار الأمريكي عملة عالمية وذلك منذ النصف الثاني من القرن العشرين. فهو العملة المعتمدة في المبادلات التجارية العالمية وفي الاستثمار وفي مداولات البورصات العالمية ويشكل غالبا أكثر من نصف مدخرات البنوك المركزية من العملة الأجنبية كما يُعْتَمَدُ في كل أقطار العالم حتى تلك المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية. وهو يستمد هذه المكانة من الثقة التي تحظى بها القوة العسكرية والاقتصاد الأمريكيين[6]. ويمنح انتشار الدولار واعتماده على نطاق واسع في العمليات المالية والنقدية عبر العالم والتحكم في قيمته الولايات المتحدة الأمريكية تأثيرا كبيرا على الاقتصاد العالمي ذلك أنّ تغير قيمته بالنسبة إلى بقية العملات يؤثر في مستوى قدرة الاقتصادات الأخرى على المنافسة فعندما تتراجع قيمة الدولار تتقلص عائداتها عند التصدير وتتفاقم نفقاتها عند التوريد والعكس. وكثيرا ما توظف الولايات المتحدة الأمريكية هذه الميزة لمعالجة اختلالات اقتصادها.

#### ج– سوق مالية كبرى

تأوي بعض حواضر الولايات المتحدة الأمريكية عدّة بورصات عالمية كبرى وهو ما يمنحها قدرة عالية على التأثير في الاقتصاد العالمي. ومن أبرز هذه البورصات بورصة وال ستريت للأوراق المالية في نيويورك والتي تتولى كذلك ضبط أسعار أغلب المواد الأولية والمنتجات الصناعية المتنوّعة وهي تستأثر بقرابة نصف قيمة الرسملة بالبورصة في العالم بواسطة مؤشراتها داو جونس وناسداك وستاندار أند بورز 500 ومؤشّر سوق الأسهم آن. يو. سي. آي... وتستقطب المدخرات النقدية من كل أنحاء العالم إضافة إلى وبورصة شيكاغو للحبوب وبورصة نيو أرليانس للقطن. ويؤثر سير المداولات المالية في البورصات الأمريكية في بقية بورصات العالم خاصة في طوكيو ولندن وباريس وفرنكفورت كما يؤثر في سير الاقتصاد العالمي.

## II - تأثير ثقافي كبير

تمثّل الثقافة الأمريكية بما يميّزها من تنوّع وما تحظى به من تمويل وإشهار وما تشهده من انتشار متزايد عبر العالم إحدى أدوات التأثير الأمريكي وأحد أوجه النفوذ الأمريكي في العالم.

### 1 – منتجات ثقافية متنوعة تعرف رواجا كبيرا

تتسم الثقافة الأمريكية بتنوّع منتجاتها وبطابعها الشّعبي إذ تنبني على رؤية بسيطة ومغرية للحياة [7]. وتعدّ السينما الأمريكية أحد أهمّ رموز هذه الثقافة إذ تنقل بواسطة الأفلام والمسلسلات التليفزيونية

صورة مشرقة للمجتمع الأمريكي وتشهد إقبالا شديدا خارج الولايات المتحدة الأمريكية ما يمنحها قدرة كبيرة على التأثير في الرأي العام وفي تشكّله. ورغم كونها لا توفر سوى قرابة ثلث الإنتاج العالمي فإن السينما الأمريكية تنفرد بأكثر من نصف توقيت بث الأفلام على المستوى العالمي [8]. كما تمثل الموسيقى بما ابتدعته من نماذج موسيقية (البلوز، السّول، الرّوك) والموضة التي تشمل الملبس (الدجين وأحذية نايك وريبوك...) والمأكل (الهمبورغر، الماكدو...) [9] وطريقة العيش رموزا أخرى مؤثرة للثقافة الأمريكية عبر العالم تلقى إقبالا ورواجا واسعين [10].

كما تنتشر بين النخب السياسية والثقافية في العالم ثقافة أمريكية نخبوية يقوم عليها علماء وباحثون ضمن مؤسسات بحث شهيرة أو مؤسسات جامعية عريقة وليس صدفة أن تستأثر الولايات المتحدة الأمريكية بالحصة الأكبر من الحائزين على جائزة نوبل في عدد هام من حقول المعرفة [10] ولا يقل التأثير العالمي لهذه الثقافة النخبوية عن تأثير الثقافة الشعبية الأمريكية. ويعزى انتشار الثقافة الأمريكية وعمق تأثيرها إلى انتشار اللغة الأنقليزية التي أضحت لغة عالمية تُعْتَمَدُ في ميادين العلوم والنّشر والإعلام والأعمال والمعلوماتية. كما يعزى هذا الانتشار إلى جهاز إعلامي قويّ ومتنوّع تمثله صحافة مكتوبة متنوّعة الاهتمامات وواسعة الانتشار مثل نيويورك تايمز وهيرالد تريبيون و لوس انجلس تايمز... وشبكات تلفيزيونية عديدة تشتغل على مدار الساعة وتغطي مجالات واسعة من الكرة الأرضية أشهرها سي .آن .آن [11] و آن. بي. سي وآي. بي. سي... وإلى وكالات أنباء ظلت مؤثرة لزمن طويل في صياغة الأخبار وأسهمت إلى حد كبير في تأكيد النفوذ الأمريكي عبر العالم وأشهرها الأسوسايتد براس [12].

### 2 – إشاعة نمط العيش الأمريكي

لقد أفضى هذا النفوذ الثقافي إلى إشاعة القيم الأمريكية ونمط العيش الأمريكي عبر العالم. وعمّت تبعا لذلك قيم الاستهلاك وحب المغامرة والروح الريادية والتحركية المجالية والمهنية مختلف أرجاء العالم. وقد تولت السينما والمسلسلات التليفزيونية والقنوات الفضائية الأمريكية والصحف والمجلات المتخصّصة نقل صورة وردية ومغرية عن المجتمع الأمريكي ونمط عيشه أصبح الإقبال عليها وتقليدها عنوان انتماء للعصر في عدد متزايد من الأقطار. وشملت الأمركة كل أوجه الحياة بدءا بالعادات الغذائية والهندام وانتهاء بأشكال التعبير الفني حيث انتشرت مطاعم الفاست فود [9] في عدد متزايد من بلدان العالم كما راج ارتداء ملابس الدجين وتعددت فضاءات الترفيه على النمط الأمريكي تبعا لتدويل أنشطة شركة والت ديزني التي ركزت فروعا في اليابان وأوروبا وهونغ كونغ.

## III - نفوذ جغراسياسي واسع

تحوّلت الولايات المتحدة الأمريكية على إثر انهيار الاتحاد السوفياتي وتلاشي قوته العسكرية وتأثيره السياسي في نهاية تسعينات القرن الماضي إلى القوة العظمى الوحيدة في العالم. وقد منحها هذا الوضع الجديد دورا قياديا تستند فيه إلى التأثير السياسي والقوة العسكرية.

### 1- قوة عسكرية عاتية وانتشار عسكري كبير عبر العالم

#### أ – قوة عسكرية عاتية

تستند استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية إلى قوة عسكرية جبارة تسخّرها لفرض هيمنتها على العالم ولضمان مصالحها الاقتصادية والسياسية [13]. وتتشكل هذه القوة من 1,2 مليون عسكري مدججين بأكثر أنواع الأسلحة تطورا وفتكا مثل حاملات الطائرات والغواصات النووية والطائرات الحربية المتنوعة والصواريخ العابرة علاوة على ترسانة ضخمة من الرؤوس النووية الجاهزة للاستعمال فضلا عن الأسلحة التقليدية المختلفة. كما تتميّز هذه القوة العسكرية بقدرتها العالية على التعبئة والتدخل السريع في مناطق مختلفة من العالم. وهي تحظى بميزانية مرتفعة تقارب نصف قيمة الإنفاق العسكري في العالم [14]. وتسند الصناعات العسكرية التي تتولاها شركات أمريكية عملاقة مثل لوكهيد مارتن، نورثروب، رايتيون وجنرال ديناميكس... هذه القوة العسكرية إذ تعدّ المزوّد الرئيسي للقوات العسكرية الأمريكية مستفيدة بذلك من صفقات ضخمة تبرمها مع الحكومة الفيدرالية ومن القيمة المرتفعة لمبيعاتها عبر العالم حيث تتصدّر الولايات المتحدة الأمريكية البلدان المصدّرة للأسلحة بقرابة 40% من قيمة المبيعات في العالم سنة 2008 .

#### ب – انتشار عسكري واسع عبر العالم

عزّز انهيار الاتحاد السوفياتي في تسعينات القرن الماضي قناعة الأمريكيين بوجاهة الايديولوجيا

الليبرالية التي يعتنقونها ودفعهم إلى السعي إلى نشر نموذجهم الاقتصادي والاجتماعي عبر العالم. كما أنّ بروز قوى جديدة وفتية مثل الاتحاد الأوروبي والصين الشعبية دفع الأمريكيين إلى إحكام قبضتهم على الموارد الاستراتيجية مثل المحروقات والسيطرة على السوق العالمية. وقد فرضت هذه الاستراتيجية على الولايات المتحدة الأمريكية نشر قواتها العسكرية عبر العالم ضمن شبكة من القواعد العسكرية الضخمة مثل قوام و أوكيناوا في المحيط الهادي وديا غو قارسيا في المحيط الهندي وبنما في أمريكا الوسطى وفي المملكة المتحدة وإيطاليا وألمانيا بالاتحاد الأوروبي وفي كوريا الجنوبية واليابان والخليج العربي وأوروبا الشرقية وآسيا الوسطى...كما تتواجد أساطيلها البحرية في كل المحيطات والبحار [15] وتنتشر أجهزة المراقبة والتنصّت في كلّ أنحاء العالم. ولقد حوّلتها هذه السياسات إلى شرطي للعالم وجعلتها تواجه معارضة متزايدة.

### 2 – هيمنة متعددة الأوجه تثير احتجاجا متناميا

#### أ– هيمنة متعدّدة الأوجه

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تأكيد زعامتها للعالم مسخّرة في ذلك قوتها الإنتاجية الجبّارة وتقدّمها التكنولوجي الجلي وقوتها العسكرية العاتية وإيديولوجيتها الليبرالية التي بدت متفوّقة خاصة مع انهيار النموذج الاشتراكي المنافس لها. وهي تستغلّ إمكانياتها الاقتصادية العريضة لتحقيق أهدافها السياسية. فعلاوة عما توجّهه من معونات غذائية عينية إلى البلدان الفقيرة، فإنها تعدّ المانح الأوّل للمساعدات من أجل التنمية [16]. كما تستغلّ ما تتمتّع به من نفوذ في الهيئات الأممية مثل مجلس الأمن والمنظمة العالمية للتجارة والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي لخدمة مصالحها عبر العالم غير أنّها أصبحت منذ تسعينات القرن الماضي تعوّل بدرجة رئيسية على قوتها العسكرية الضخمة في فرض هيمنتها سواء من خلال استعمالها المباشر أو من خلال التلويح باستعمالها. ويتخذ مسعى الولايات المتحدة الأمريكية لتثبيت زعامتها ثلاثة اتجاهات رئيسية يتمثل أوّلها في نشر الليبرالية الاقتصادية وتعزيز التبادل الحرّ عبر خلق مناطق تبادل حرّ مثل منظمة التبادل الحرّ بشمال أمريكا ومنطقة التبادل الحر بأمريكا وإبرام اتفاقيات تبادل حرّ مع عدد متزايد من أقطار العالم بما يعزّز العولمة الاقتصادية. أما الاتجاه الثاني فيتمثل في إقامة أحلاف سياسية وعسكرية لتعزيز نفوذها وضمان مصالحها عبر العالم مثل حلف شمال الأطلسي علاوة عن تدعيم الليبرالية السياسية خاصّة في الأقطار الاشتراكية السّابقة وفي عدد متزايد من بلدان الجنوب. أما الاتجاه الثالث فهو التدخّل العسكري المباشر في بعض مناطق العالم معتمدة الأحادية السياسية ومبدأ الحرب الوقائية (الاستباقية) لإزاحة أنظمة سياسية معادية لها أو لوضع يدها على موارد إستراتيجية مثل ما هو الحال في حرب الخليج الثالثة أو للحصول على موطئ قدم في مناطق استراتيجية هامّة بالنسبة للصراعات المستقبلية مثل ما هو الحال في حربها على أفغانستان بآسيا الوسطى أو في تدخّلها بمنطقة القرن الإفريقي.

#### ب – هيمنة تثير احتجاجا متناميا

أصبحت هذه الاستراتيجية الأمريكية تثير معارضة متزايدة لا فقط من قبل بعض بلدان الجنوب بل وكذلك من قبل حلفائها وخاصّة الاتحاد الأوروبي علاوة على الاحتجاجات المتنامية من قبل المجتمع المدني والرأي العام العالمي وذلك بسبب ما ترتب عنها من اضطراب في الاقتصاد الدولي ومن انعكاسات وخيمة على العلاقات الدوليّة وما أفضت إليه من إضعاف لمنظمة الأمم المتحدة وتآكل لمصداقيّتها. ولقد شمل هذا الاحتجاج أمريكا الجنوبية الحديقة الخلفية للولايات المتحدة الأمريكية وأفضى إلى استيلاء الأحزاب اليسارية على السلطة في أغلب أقطارها وإلى رفض المسعي الأمريكي إلى إقامة منطقة تبادل حر في أمريكا.

## الخاتمة

لقد حازت الولايات المتحدة الأمريكية مكانة القوة العظمى بفضل جمعها بين القوة الاقتصادية والقوة العسكرية والإشعاع الثقافي. فما هي دعائم هذه القوة ؟